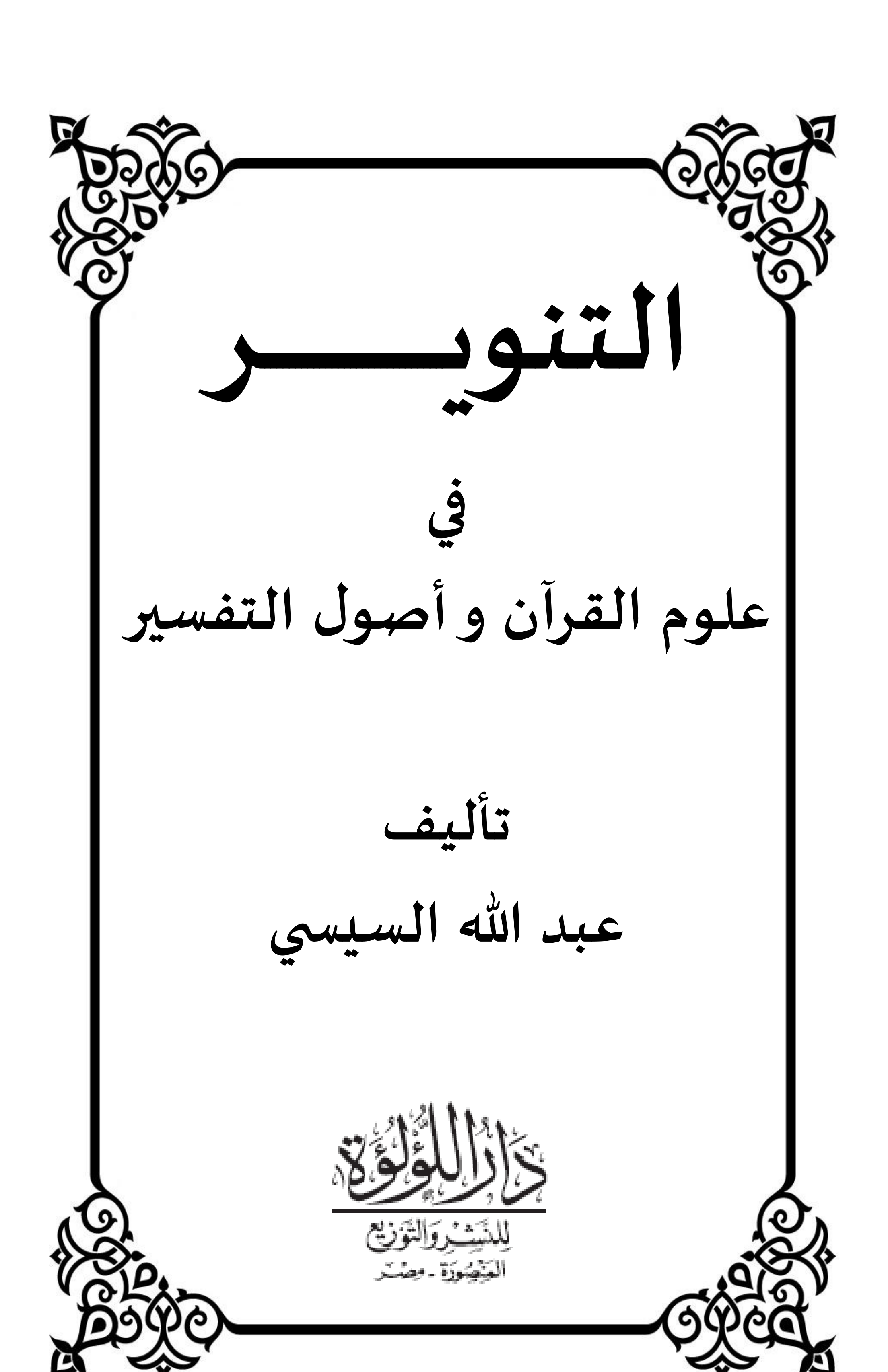


# التنويـــــر

## في

## علوم القرآن و أصول التفسير

تأليف

عبد الله السيسي

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر





الطبعة الأولى

١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧ م

رقم الإيداع: / ٢٠١٧

الترقيم الدولي:

الناشر




٢٣ شارع محمد عبده ـ خلف الجامع الأزهر ـ القاهرة

٠٠٢٢٥١١٧٧٤٧

فرع المنصورة

شارع الهادي ـ عزبة عقل ـ المنصورة

ت: ٠٠٢٠١٠٠٧٨٦٨٩٨٣ ـ ٠٠٢٠١٠٠٧٧١١٦٦٥

واتس/ ٠٠٢٠١٠٠٧٨٦٨٩٨٣

Dar_Elollaa@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنَ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَ لَهُ وَمَن يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لاَ إِلَهَ إِلاَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

**أما بعد،،،**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ تَعَالَىٰ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فَي النَّارِ.

فهذه مقدمة مبسطة لتوضيح أهم أصول علوم القرآن وتفسيره متضمنة أهم التعريفات والمسائل التي تعين علىٰ التعمق في هذا العلم العظيم، أسأل الله أن ينفع بها ويكتب لنا الأجر والثواب.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

## ❐ أولا القرآن:

○ **تعريفه:**

**لغة**: مصدر مرادف للقراءة قرأ قراءة قرآنًا علىٰ وزن فعلان بالضم كالغفران والشكران قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٧، ١٨].

**اصطلاحًا**: هو كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، علىٰ قلب النبي الأمين؛ ليكون من المنذرين، بلسان عربي مبين، المُتَعَبَّدُ بتلاوته، المكتوب بين دفتي المصحف، المنقول إلينا بالتواتر.

○ **احترازات التعريف:**

**هو كلام رب العالمين**: يخرج به غير كلام الله تعالىٰ.

**نزل به الروح الأمين**: يخرج به ما كان من ألوان الوحىٰ الأخرىٰ كالإلقاء في الروع والرؤية والإلهام.

**علىٰ قلب النبي الأمين**: يخرج به ما كان وحيًا علىٰ غير النبي ﷺ.

**ليكون من المنذرين**: يخرج به ما كان لغير ذلك حيث إن القرآن كله للإنذار والبشرىٰ (والبشرىٰ من الإنذار).

**بلسان عربي مبين**: يخرج به ما كان بغير اللغة العربية وما يقال أنه من

الكلمات الأعجمية.

**المتعبَّدُ بتلاوته**: يخرج به الحديث القدسي حيث إنه يتعبد بالعمل به وليس بتلاوته كالقرآن.

**المكتوب بين دفتي المصحف**: يخرج به كل كلام خلاف ما كان في المصحف المجمع عليه من المسلمين.

**المنقول إلينا بالتواتر**: يخرج به القراءات الشاذة.

**عند إرادة تفسير آية أو آيات من القرآن يجب مراعاة الآتي**:

١- سبب النزول.

٢- الزمن الذي نزلت فيه.

٣- المكان الذي نزلت فيه.

٤- المعاني اللغوية للألفاظ مجتمعة (السياق).

٥- توجيه الخطاب.

٦- الإعراب وضبطه للمعنى.

○ **والقرآن يحتوي على ثلاثة أقسام:**

١- التوحيد وآثاره الدنيوية من حيث الأحكام في الدنيا بين الناس، والأخروية من حيث أحكام الآخرة عند الله يوم القيامة.

٢- التذكير بمصير السابقين واللاحقين من حيث العبرة والعظة بقصص الماضين وما حدث لهم وما يمكن أن يحدث لمن ينتهجون نهجهم.

٣- الأحكام التي هي منهج رباني لحفظ الدين والدنيا.

**قال الشافعي رحمه الله تعالىٰ:**

جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة، وجميع السنة شرح للقرآن، وجميع القرآن شرح لأسماء الله الحسنىٰ، وجميع شرح الأسماء الحسنىٰ شرح لاسمه الأعظم، والقرآن أفضل من أي كلام سواه، فكذلك علومه أفضل من كل ما عداه ا. هـ

قال تعالىٰ: ﴿ ۞ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓ ﴾ [الرعد:١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ [البقرة:٢٦٩].

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم جميعًا متخصصون في العلم، كل واحد منهم متخصص في نوع معين من العلم، نابغ فيه، محصل له بإتقان.

علي بن أبي طالب بالقضاء.

وزيد بن ثابت بالفرائض.

معاذ بن جبل بالحلال والحرام.

أُبَي بن كعب بالقراءة.

عبد الله بن عباس بالتفسير

### أسماء القرآن:

١ – القرآن إشارة إلىٰ حفظه في الصدور ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾ [الإسراء:٩].

٢ - الكتاب لقوله تعالىٰ: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:١، ٢] إشارة إلىٰ كتابته في السطور.

٣ - الذكر لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]، لما فيه من التذكرة للرسول ﷺ وأمته قال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف:٤٤].

٤ - الفرقان لقوله تعالىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان:١] لكونه يفرق بين الحق والباطل.

**❐ أوصافه:**

١ - نور - مبين - هدىٰ - شفاء - رحمة - موعظة - بشير - نذير - مبارك.

وذلك لقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:١٧٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:٥٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [البقرة:١١٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩]، وأوصاف أخرىٰ في القرآن والسنة

## تنزلات القرآن:

### التنزل الأول:

إلىٰ اللوح المحفوظ بطريقة ووقت لا يعلمهما إلا الله تعالىٰ ومن أطلعه علىٰ غيبه مصداقًا لقوله تعالىٰ: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن:٢٧]. ونزل جملة لا مفرقًا وذلك الظاهر من اللفظ.

**الدليل من القرآن:**

قوله تعالىٰ: ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴾ [البروج:٢٢].

### التنزل الثاني:

من اللوح المحفوظ إلىٰ السماء الدنيا ونرىٰ من خلال الآيات القرآنية التي نستدل بها علىٰ هذا النزول ما يفيد بأن القرآن نزل في ليلة واحدة إلىٰ السماء الدنيا وصفها القرآن بليلة مباركة وسماها تارة بليلة القدر وهي في رمضان ونزل جملة واحدة أيضًا قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ [القدر:١]، وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ [الدخان:٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ [البقرة:١٨٥].

### التنزل الثالث:

من السماء الدنيا إلىٰ الأرض وعلىٰ قلب خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وهي المرحلة الأخيرة التي شع منها النور علىٰ العالم أجمع نزل به جبريل ووصفه الله بالأمين علىٰ قلب الرسول ﷺ

منجمًا في ثلاث وعشرين سنة حسب الحوادث والطوارئ وما يتدرج من تشريع

الدليل من القرآن قوله تعالىٰ: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء:١٩٣- ١٩٥].

ولقد أضاف الله القرآن إلىٰ نفسه في عدة آيات منها: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل:٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٦].

وجبريل هو الواسطة يوحي الله إليه بالقرآن بطريقة يعلمها الله ومن أطلعه علىٰ غيبه فينزل به علىٰ الرسول ﷺ.

**الدليل من السنة:**

عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا أُنزل القرآن جملة واحدة إلىٰ السماء الدنيا ليلة القدر، ثم أُنزل بعد ذلك بعشرين سنة ثم قرأ ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان:٣٣]، ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ [الإسراء:١٠٦، ١٠٧].

### ❑ الحكمة من نزول القرآن منجمًا:

١- تثبيت فؤاد النبي ﷺ بدليل قوله تعالىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [الفرقان: ٣٢].

٢ – تيسير حفظه وفهمه لكون العرب أمة أمية.

٣ – مسايرة الحوادث والطوارئ والتدرج في التشريع.

٤ – التحدي والإعجاز بكل آية.

٥ – تسلية الرسول ﷺ تصبيره على أذى المشركين وتثبيت قلوب المؤمنين وتسليحهم بعزيمة الصبر واليقين.

٦ – الدلالة القاطعة على أن القرآن من عند الله سبحانه.

## العناية بالقرآن:

### ١ – عناية الصحابة به:

نجد أعلام الهدى من الصحابة والتابعين يضبطون منازل القرآن آية آية ضبطًا يحدد الزمان والمكان وهذا الضبط عماد قوي في تاريخ التشريع وقد روى البخاري في «صحيحه»:

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ رضي الله عنه : وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلَا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللهِ تُبَلِّغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ٥٠٠٢].

[رواه ابن جرير الطبري في تفسيره عن عبد الله بن مسعود الجزء الأول في المقدمة].

### ٢ – عناية التابعين به:

أيضًا نجد الأعلام من التابعين الذين أخذوا علمهم من الصحابة يعتنون

بهذا العلم عناية تامة كيف لا وهم تلاميذ أصحاب النبي ﷺ الذين زكَّاهم الله في كتابه فهذا رجل يسأل عكرمة عن آية من القرآن فيجيبه أنها نزلت في سفح هذا الجبل وأشار إلىٰ سلع وهو جبل في المدينة.

**٣ – عناية العلماء به:**

اعتنىٰ العلماء في كل عصر من عهد النبي ﷺ إلىٰ يومنا هذا وخاصة في معرفة المكي والمدني وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والعام والخاص فتتبعوا القرآن آية آية وسورة سورة ترتيبا وفق نزولها حيث بذلوا جهدًا كبيرًا وراعوا في ذلك الزمان والمكان والخطاب وهو تحديد دقيق يعطي صورة علمية في التحقيق لهذا العلم.

## ❒ المكي والمدني من القرآن:

١ – السور المكية ٨٢ سورة أي التي نزلت في مكة.

٢ – السور المدنية ٢٠ سورة أي التي نزلت في المدينة.

٣ – المختلف فيه ١٢ سورة.

## ❒ كيف يعرف المكي من المدني:

**١ - منهج سماعي:**

يستند إلىٰ الرواية الصحيحة عن الصحابة والتابعين الذين عاصروا الوحي وشاهدوا نزوله أو عن التابعين الذين تلقوا عن الصحابة وسمعوا منهم كيفية النزول وموافقة أحداثه ولم يرووا عن الرسول ﷺ شيئًا من ذلك حيث أنه ليس من الواجبات التي تجب علىٰ الأمة.

**٢ - منهج قياسي اجتهادي:**

يستند إلىٰ خصائص المكي وخصائص المدني فإذا ورد في السورة المكية آية تحمل طابع التنزيل المدني أو تتضمن شيئًا من حوادثه قالوا إنها مدنية وإذا ورد في السورة المدنية آية تحمل طابع التنزيل المكي أو تتضمن شيئًا من حوادثه قالوا إنها مكية وهذا قياس اجتهادي ولهذا نجدهم يقولون كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية إنها مكية وكل سورة فيها فريضة أو حد إنها مدنية وهذه ليست قاعدة مطردة ولكن الغالب عليها ذلك والله أعلم.

### ❑ الفرق بين المكي والمدني واعتبارات فهمه:

**١ - اعتبار المخاطب:**

المكي ما كان خطابا لأهل مكة والمدني ما كان خطابا لأهل المدينة فقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ (خطاب مكي)، وقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [البقرة:١٠٤] (خطاب مدني) ولكن هذا الضابط لا يطرد دائمًا لأن في سورة البقرة والنساء وهما مدنيتان فيهما خطاب مكي وهو قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾.

**٢ - اعتبار مكان النزول:**

قالوا: إن المكي ما نزل بمكة وما جاورها كمنىٰ وعرفات والحديبية والمدني ما نزل بالمدينة وما جاورها كأحد وقباء وسلع ويترتب علىٰ هذا الرأي عدم ثنائية القسمة فيما نزل بالأسفار أو بتبوك أو ببيت المقدس ولا يدخل تحت هذه القسمة فلا يسمىٰ مكيًّا ولا مدنيًّا وكذلك يترتب علىٰ هذا الرأي أن ما نزل بمكة بعد الهجرة يكون مكيًّا.

**٣ - اعتبار زمن النزول:**

فالمكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بغير مكة والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بغير المدينة فما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة أو عرفة فهو مدني كالذي نزل عام الفتح كقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء:٥٨]، أو نزل في حجة الوداع ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة:٣] وهذا الرأي هو أولىٰ الرأيين بالصواب وهذا هو الراجح.

## ❏ مميزات وضوابط المكي:

**○ ضوابطه:**

١- كل سورة فيها سجدة.

٢ -كل سورة فيها لفظ ﴿ كَلَّآ ﴾.

٣ - كل سورة فيها لفظ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾.

٤ - كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة.

٥- كل سورة فيها قصة آدم وإبليس ما عدا البقرة.

٦- كل سورة تفتتح بالحروف المقطعة مثل ﴿ الٓمٓ ﴾ - ﴿ حمٓ ﴾ ما عدا البقرة وآل عمران.

**○ مميزاته وأوصافه:**

١ - الدعوة إلىٰ التوحيد وعبادة الله وذكر القيامة والجنة والنار ومجادلة

المشركين.

٢ - تفضح أعمال المشركين من سفك الدماء وأكل أموال اليتامىٰ ووأد البنات.

٣ - قوة الألفاظ وقصر الفواصل وإيجاز العبارة.

٤ - الإكثار من عرض قصص الأنبياء وتكذيب أقوامهم لهم وللعبرة والزجر وتسلية الرسول ﷺ.

## ❐ مميزات وضوابط المدني:

**○ ضوابطه:**

١ - كل سورة فيها فريضةٌ أو حدٌّ.

٢ - كل سورة فيها ذكر المنافقين.

٣ - كل سورة فيها مجادلة أهل الكتاب.

٤ - كل سورة تبدأ بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾.

**○ مميزاته:**

١ - بيان العبادات والمعاملات والحدود والجهاد والسلم والحرب ونظام الأسرة وقواعد الحكم ومسائل التشريع.

٢ - مخاطبة أهل الكتاب ودعوتهم إلىٰ الإسلام.

٣ - الكشف عن سلوك المنافقين وبيان خطرهم علىٰ الدين.

٤ - طول المقاطع والآيات في أسلوب يقرر قواعد التشريع وأهدافه ومراميه.

**ما نزل بالطائف:**

مثل قوله تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ [الفرقان:٤٥]، وما نزل بالجحفة كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [القصص: ٨٥].

**ما نزل في بيت المقدس ليلة الإسراء**؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف:٤٥].

**وما نزل في الحديبية**؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الرعد:٣٠].

**ما نزل في السفر:**

١- الأنفال. ٢- الفتح. ٣- الحج. ٤- والله يعصمك من الناس.

**ما نزل ليلًا:**

قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:١٩٠].

**آية الثلاثة الذين خُلِّفوا**؛ قال كعب بن مالك وهو أحدهم «فأنزل الله توبتنا حين بقي الثلث الأخير من الليل».

**ما نزل شتاء:**

- آيات الإفك عن عائشة أنها قالت نزلت في يوم شاتٍ.

- آيات غزوة الخندق.

**ما نزل في الصيف:**

قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴾ [التوبة:٨١] .

**ما حُمل من مكة إلىٰ الحبشة:**

حُمل من مكة إلىٰ الحبشة سورة مريم قرأها جعفر علىٰ النجاشي.

**ما حُمل من مكة إلىٰ المدينة:**

١- سورة سبح اسم ربك الأعلىٰ حملها مصعب بن عمير وابن أم مكتوم.

٢ - سورة يوسف حملها عوف بن عفراء وأسلم مع ثمانية من الأنصار وقدموا علىٰ رسول الله ﷺ في قلة فعرض عليهم الإسلام فأسلموا ورجعوا إلىٰ المدينة فقرأها عوف علىٰ أهل المدينة فأسلم عدد من بيوت الأنصار.

٣ - سورة الإخلاص وآية الأعراف ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨].

**ما حُمل من المدينة إلىٰ مكة:**

١ - سورة براءة حملها أبو بكر الصديق في العام التاسع عندما كان أميرًا علىٰ الحج فأذن علي بن أبي طالب أن لا يحج بعد العام مشرك [متفق عليه].

٢ - قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ﴾ [النساء:٩٧] إلىٰ قوله:

﴿ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ [النساء:٩٨] .

○ **أمثلة لآيات مكية في سورة مدنية :**

سورة الأنفال كلها مدنية عدا قوله: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال:٣٠]، واستثنىٰ منها قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال:٦٤].

○ **آيات مدنية من سورة مكية :**

١- سورة الأنعام مكية سوىٰ ثلاث آيات نزلت بالمدينة هي قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [الأنعام:١٥١] إلىٰ آخر الثلاث آيات.

٢ - سورة الحج مكية إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة من أول قوله تعالىٰ: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ [الحج:١٩] إلىٰ آخر الثلاث آيات.

❏ **فوائد معرفة المكي والمدني :**

- تمييز الناسخ من المنسوخ.
- معرفة تاريخ التشريع والتدرج فيه.
- الاستعانة في تفسير القرآن وفهم معانيه.
- تذوق أساليب القرآن والاستفادة منها في أسلوب الدعوة.
- الوقوف علىٰ السيرة النبوية من خلال الآيات القرآنية.

## أسباب النزول ومعرفة أول ما نزل وآخر ما نزل:

### معرفة أول ما نزل:

١ - أول ما نزل من القرآن الآيات الأول من سورة العلق وهي قوله تعالىٰ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق:١-٥] وأول سورة نزلت كاملة سورة المدثر لدفع تعارض الحديثين الصحيحين.

### آخر ما نزل:

أصح الأقوال فيه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٨١].

## أسباب النزول:

١ - قسم نزل بدون سبب وهو أكثر القرآن.

٢ - قسم نزل مرتبطًا بسبب من الأسباب.

### عناية العلماء به:

اعتنىٰ العلماء به لحاجتهم إليه في تفسير كتاب الله تعالىٰ ومن أشهر من ألف فيه علي ابن المديني شيخ الإمام البخاري والواحدي في كتابه أسباب النزول، والحافظ ابن حجر في أسباب النزول، والسيوطي في كتابه لباب العقول في أسباب النزول.

### ○ كيفية الاعتماد على أسباب النزول:

اعتمد العلماء في أسباب النزول علىٰ صحة الروايات عن رسول الله ﷺ أو عن الصحابة وكان نهج السلف التورع والتروي والتثبت عن أن يقولوا شيئًا دون التأكد من صحة الرواية قال محمد بن سيرين سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال: اتق الله وقل سدادًا ذهب الذين يعلمون فيما أنزل الله من القرآن.

### ○ تعريف السبب:

١- أن تحدث حادثة فينزل القرآن بشأنها كما صح عن ابن عباس في رواية البخاري:

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ قَالَ حَدَّثَنِي عَمْرُو ابْنُ مُرَّةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤] صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي: «**يَا بَنِي فِهْرٍ يَا بَنِي عَدِيٍّ**» لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّىٰ اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ: «**أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ ؟**» قَالُوا: نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟! فَنَزَلَتْ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾ [المسد:١، ٢] [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ٤٧٧٠] وتفسير النسائي: ٤٤٦].

٢- أن يسأل الرسول ﷺ عن شيء فينزل القرآن ببيان الحكم مثال ذلك ما حدث من خولة بنت ثعلبة عندما ظاهر منها زوجها (أوس بن الصامت) فذهبت

تشتكي إلىٰ رسول الله ﷺ كما جاء في الحديث:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ حَدَّثَنَا أَبِي عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ تَمِيمِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ، إِنِّي لَأَسْمَعُ كَلَامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ وَيَخْفَىٰ عَلَيَّ بَعْضُهُ، وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهِيَ تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَكَلَ شَبَابِي، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي، حَتَّىٰ إِذَا كَبِرَتْ سِنِّي، وَانْقَطَعَ وَلَدِي، ظَاهَرَ مِنِّي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ، فَمَا بَرِحَتْ حَتَّىٰ نَزَلَ جِبْرَائِيلُ بِهَؤُلَاءِ الْآيَاتِ ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة:١].

### ❒ الحكمة والفوائد من معرفة أسباب النزول:

#### ○ الحكمة:

معرفة حكمة الله تعالىٰ علىٰ التعيين فيما شرعه بالتنزيل لما فيه نفع للمؤمنين وغير المؤمنين فالمؤمن يزداد إيمانا علىٰ إيمانه لما شاهده وعرف سبب نزوله والكافر إن كان منصفًا يبهره صدق هذه الرسالة الإلهية و ما نزل بسبب من الأسباب إنما يدل علىٰ عظمة المنزل وصدق المنزل عليه.

#### ○ الفوائد:

- الاستعانة علىٰ فهم الآية وتفسيرها ورفع الإشكال عنها فمعرفة السبب خير سبيل لفهم معاني القرآن قال ابن دقيق العيد «بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن» وقال الواحدي «لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف علىٰ قصتها وبيان نزولها» قلت: وخاصة في آيات الأحكام وقال ابن تيمية معرفة

سبب النزول يعين علىٰ فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.

- دفع توهم نزول الآية بسببه.

- تخصيص الحكم الذي نزل بصيغة العموم.

**وإليك الأمثلة:**

### أمثلة لبعض فوائد النزول:

**- مثال لدفع الإشكال:**

قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١١٥] فهذا اللفظ الكريم يدل بظاهره علىٰ أن الإنسان يصلي إلىٰ أي جهة شاء ولا يجب عليه أن يولي وجهه شطر المسجد الحرام لكن إذا علم أن هذه الآية نازلة في نافلة السفر خاصة أو فيمن صلىٰ باجتهاده في مكان لا يستطيع فيه أن يتحرىٰ القبلة أو كان يظن أنه القبلة ثم تبين خطؤه علم أن مراد هذه الآية التخفيف.

**- مثال لتخصيص الحكم:**

قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٨٨].

روىٰ البخاري في صحيحه فقال:

حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَىٰ أَخْبَرَنَا هِشَامٌ أَنَّ ابْنَ جُرَيْجٍ أَخْبَرَهُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ عَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ مَرْوَانَ قَالَ لِبَوَّابِهِ اذْهَبْ يَا رَافِعُ إِلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْ لَئِنْ كَانَ كُلُّ امْرِئٍ فَرِحَ بِمَا أُوتِيَ وَأَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ مُعَذَّبًا

لَنُعَذَّبَنَّ أَجْمَعُونَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَمَا لَكُمْ وَلِهَذِهِ إِنَّمَا دَعَا النَّبِيُّ ﷺ يَهُودَ فَسَأَلَهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَكَتَمُوهُ إِيَّاهُ وَأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ فَأَرَوْهُ أَنْ قَدِ اسْتَحْمَدُوا إِلَيْهِ بِمَا أَخْبَرُوهُ عَنْهُ فِيمَا سَأَلَهُمْ وَفَرِحُوا بِمَا أُوتُوا مِنْ كِتْمَانِهِمْ ثُمَّ قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران:١٨٧] كَذَلِكَ حَتَّىٰ قَوْلِهِ: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾ [آل عمران:١٨٨]. تَابَعَهُ عَبْدُالرَّزَّاقِ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ح حَدَّثَنَا ابْنُ مُقَاتِلٍ أَخْبَرَنَا الْحَجَّاجُ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ مَرْوَانَ بِهَذَا [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ٤٥٦٨].

فزال هذا الإشكال بعد توضيح ابن عباس له.

○ **صفة السبب:**

**١ - تكون نصًّا صريحًا في السببية:**

إذا صرح الراوي بالسبب بأن يقول سبب نزول هذه الآية كذا أو يأتي الراوي بفاء للتعقيب بعد ذكر الحادثة بأن يقول سئل رسول الله ﷺ عن كذا فنزلت الآية أو فنزل قول الله تعالىٰ ويذكر الآية.

**٢ - أن تكون الصيغة محتملة السببية:**

مثل أن يقول الراوي أحسب هذه الآية نزلت في كذا أو ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في كذا مثال علىٰ ذلك ما حدث للزبير والأنصاري ونزاعهما في سقي الماء وتشاكيا إلىٰ رسول الله ﷺ فنزل قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:٦٥] فقال الزبير: ما أحسب هذه الآية

نزلت إلا في ذلك [البخاري مع الفتح: ٤٥٨٥].

○ **إذا تعددت الروايات وكانت جميعها نصًّا في السببية اعتمدت الرواية الصحيحة.**

**مثال للرواية الصحيحة:**

ما رواه الشيخان وهذا لفظ البخاري حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ جُنْدَبًا يَقُولُ اشْتَكَىٰ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَةً أَوْ لَيْلَتَيْنِ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ مَا أُرَىٰ شَيْطَانَكَ إِلَّا قَدْ تَرَكَكَ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ [الضحى:٢، ٣] [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ٤٩٥٠].

فهذه رواية الصحيحين وهي نص في السببية فرجحت علىٰ غيرها.

**مثال للرواية الضعيفة:**

أخرج الطبري وابن أبي شيبة عن حفص عن ميسرة عن أمة عن أختها وكانت خادم رسول الله ﷺ أن جروًا دخل بيت النبي ﷺ فدخل تحت السرير فمات فمكث النبي ﷺ أيامًا لا ينزل عليه الوحي فقال: «**يا خولة ما حدث في بيت رسول الله ﷺ جبريل لا يأتيني**» فقلت في نفسي: لو هيأت البيت وكنسته فأهويت بالمكنسة تحت السرير فأخرجت الجرو فجاء النبي ﷺ ترعد لحيته وكان إذا نزل عليه أخذته الرعدة فأنزل الله ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ [الضحى:١، ٢] ضعف هذه الرواية الحافظ ابن حجر في «الفتح» وقال في سند الحديث من لا يعرف أما إبطاء جبريل بسبب الجرو فحادثة مشهورة.

○ **إذا تساوت الروايات في الصحة ورجحت إحداها على الأخرى بوجه من وجوه الترجيح.**

**١- رواية صحيح البخاري:**

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ قَالَ حَدَّثَنِي

إِبْرَاهِيمُ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِاللهِ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي حَرْثٍ وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَىٰ عَسِيبٍ إِذْ مَرَّ الْيَهُودُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ فَقَالَ: مَا رَأْيُكُمْ إِلَيْهِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ فَقَالُوا: سَلُوهُ فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَىٰ إِلَيْهِ فَقُمْتُ مَقَامِي فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ قَالَ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥] [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ٤٧٢١].

**٢ - ما أخرجه الترمذي وصححه :**

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِيَهُودَ: أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ هَذَا الرَّجُلَ فَقَالَ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ قَالَ: فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥] قَالُوا أُوتِينَا عِلْمًا كَثِيرًا أُوتِينَا التَّوْرَاةَ وَمَنْ أُوتِيَ التَّوْرَاةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا فَأُنْزِلَتْ ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ ﴾ [الكهف:١٠٩] إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةَ قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ٣٣٤٩].

○ **الترجيح:**

رجح العلماء رواية ابن مسعود لحضوره القصة ولأنها رواية الصحيحين.

○ **إذا تساوت الروايات في الترجيح وكان الزمن متقاربا بينهما يجمع بينهما إن أمكن.**

مثال قول الله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [النور:٦] .

الرواية الأولىٰ:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْبَيِّنَةَ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ**» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِذَا رَأَىٰ أَحَدُنَا عَلَىٰ امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيِّنَةَ؟! فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**الْبَيِّنَةَ وَإِلَّا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ**» فَقَالَ هِلَالٌ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ فَلَيُنْزِلَنَّ اللهُ مَا يُبَرِّئُ ظَهْرِي مِنَ الْحَدِّ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ [النور:٦] فَقَرَأَ حَتَّىٰ بَلَغَ ﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور:٩] فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَجَاءَ هِلَالٌ فَشَهِدَ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ**» ثُمَّ قَامَتْ فَشَهِدَتْ، فَلَمَّا كَانَتْ عِنْدَ الْخَامِسَةِ وَقَّفُوهَا، وَقَالُوا: إِنَّهَا مُوجِبَةٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَلَكَّأَتْ وَنَكَصَتْ حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهَا تَرْجِعُ، ثُمَّ قَالَتْ لَا أَفْضَحُ قَوْمِي سَائِرَ الْيَوْمِ، فَمَضَتْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَبْصِرُوهَا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ سَابِغَ الْأَلْيَتَيْنِ خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ فَهُوَ لِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ**» فَجَاءَتْ بِهِ كَذَلِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَوْلَا مَا مَضَىٰ مِنْ كِتَابِ اللهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ**». [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ٤٧٤٧].

الرواية الثانية:

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ عُوَيْمِرًا أَتَىٰ عَاصِمَ بْنَ عَدِيٍّ وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي عَجْلَانَ فَقَالَ: كَيْفَ تَقُولُونَ فِي رَجُلٍ وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ؟ سَلْ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَأَتَىٰ عَاصِمٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ فَكَرِهَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَسَائِلَ فَسَأَلَهُ عُوَيْمِرٌ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَرِهَ الْمَسَائِلَ وَعَابَهَا، قَالَ عُوَيْمِرٌ: وَاللهِ لَا أَنْتَهِي حَتَّىٰ أَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَجَاءَ عُوَيْمِرٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ رَجُلٌ وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَدْ أَنْزَلَ اللهُ الْقُرْآنَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ**» فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْمُلَاعَنَةِ بِمَا سَمَّىٰ اللهُ فِي كِتَابِهِ، فَلَاعَنَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ حَبَسْتُهَا فَقَدْ ظَلَمْتُهَا، فَطَلَّقَهَا فَكَانَتْ سُنَّةً لِمَنْ كَانَ بَعْدَهُمَا فِي الْمُتَلَاعِنَيْنِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**انْظُرُوا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَسْحَمَ أَدْعَجَ الْعَيْنَيْنِ عَظِيمَ الْأَلْيَتَيْنِ خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ فَلَا أَحْسِبُ عُوَيْمِرًا إِلَّا قَدْ صَدَقَ عَلَيْهَا، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أُحَيْمِرَ كَأَنَّهُ وَحَرَةٌ فَلَا أَحْسِبُ عُوَيْمِرًا إِلَّا قَدْ كَذَبَ عَلَيْهَا**» فَجَاءَتْ بِهِ عَلَىٰ النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ تَصْدِيقِ عُوَيْمِرٍ، فَكَانَ بَعْدُ يُنْسَبُ إِلَىٰ أُمِّهِ. [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ٤٧٤٥].

**النتيجة:**

العمل بالروايتين وحملهما علىٰ تعدد السبب لصحتهما وعدم الترجيح بينهما ولقرب الزمن بينهما قال النووي لعلهما اتفق لهما ذلك في وقت واحد ويمكن أن يفهم أن آيات الملاعنة نزلت في هلال أولا ثم جاء عويمر فأفتاه الرسول ﷺ بالآيات التي نزلت في هلال.

- **إذا تساوت الروايات في الترجيح ولا يمكن الجمع بينهما لبعد الزمن نحملهما على تكرار النزول:**

مثال: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل: ١٢٦].

أخرج البيهقي والبزار عن أبي هريرة أن النبي ﷺ وقف علىٰ حمزة حين استشهد وقد مُثِّل به فقال: «**لَأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ مَكَانَكَ**» فنزل جبريل والنبي واقف بخواتيم سورة النحل ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل: ١٢٦]، فهذا يدل علىٰ أنها نزلت يوم أُحد. والله أعلم ولكن الحديث ضعيف أخرجه البزار والطبراني.

وقد أخرج الترمذي والحاكم وهذا لفظ الترمذي:

حَدَّثَنَا أَبُو عَمَّارٍ الْحُسَيْنُ بْنُ حُرَيْثٍ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَىٰ عَنْ عِيسَىٰ بْنِ عُبَيْدٍ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ: حَدَّثَنِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أُصِيبَ مِنَ الْأَنْصَارِ أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ رَجُلًا وَمِنَ الْمُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ فِيهِمْ حَمْزَةُ، فَمَثَّلُوا بِهِمْ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: لَئِنْ أَصَبْنَا مِنْهُمْ يَوْمًا مِثْلَ هَذَا لَنُرْبِيَنَّ عَلَيْهِمْ قَالَ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦]، فَقَالَ رَجُلٌ: لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُفُّوا عَنِ الْقَوْمِ إِلَّا أَرْبَعَةً**» قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ. * [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ٣٣٣٧].

فهذه الرواية تفيد أنها نزلت بمكة يوم الفتح وبين غزوة أحد وفتح مكة بضع سنين فلا بد وأن نحملهما علىٰ تكرار النزول [رواه الترمذي والنسائي وابن حبان والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم].

○ **تعدد النزول مع وحدة السبب:**

قد يتعدد ما ينزل والسبب واحد ولا شيء في ذلك مثال:

روىٰ الترمذي فقال: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ

عَنْ رَجُلٍ مِنْ وَلَدِ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ لَا أَسْمَعُ اللهَ ذَكَرَ النِّسَاءَ فِي الْهِجْرَةِ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾ [آل عمران:١٩٥] * [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ٣٢١٣] وأخرجه أيضًا سعيد بن منصور وابن جرير والحاكم].

حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ عَنْ حُصَيْنٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ أُمِّ عُمَارَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ أَنَّهَا أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: مَا أَرَىٰ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا لِلرِّجَالِ، وَمَا أَرَىٰ النِّسَاءَ يُذْكَرْنَ بِشَيْءٍ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥] الْآيَةَ قَالَ أَبُو عِيسَىٰ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ وَإِنَّمَا نَعْرِفُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ * [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ٣٤٢٨].

حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَغْزُو الرِّجَالُ وَلَا تَغْزُو النِّسَاءُ وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ [النساء:٣٢] قَالَ مُجَاهِدٌ: وَأَنْزَلَ فِيهَا ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥] إِنَّ وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ أَوَّلَ ظَعِينَةٍ قَدِمَتِ الْمَدِينَةَ مُهَاجِرَةً. قَالَ أَبُو عِيسَىٰ: هَذَا حَدِيثٌ مُرْسَلٌ وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ مُرْسَلٌ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ قَالَتْ كَذَا وَكَذَا * [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ٣٢١٢].

○ **تقدم نزول الآية على الحكم:**

ذكر العلماء نوعًا يتصل بأسباب النزول سموه تقدم نزول الآية علىٰ الحكم

وضربوا أمثلة علىٰ ذلك.

**المثال الأول قوله تعالىٰ:** ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى:١٤] استدل بها علىٰ زكاة الفطر والآية مكية وزكاة الفطر في رمضان ولم يكن في مكة عيد ولا زكاة.

**المثال الثاني قوله تعالىٰ:** ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ [البلد:٢] السورة مكية، قال البغوي في «تفسيره» وقد ظهر أثر الحل يوم فتح مكة حين قال ﷺ: «**أُحِلَّتْ لِيَ سَاعَةً مِن نَهارٍ**» [رواه مسلم: ١٣٥٥].

**المثال الثالث:** حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ حَوْشَبٍ حَدَّثَنَا عَبْدُالْوَهَّابِ حَدَّثَنَا خَالِدٌ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ح و حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ وُهَيْبٍ حَدَّثَنَا خَالِدٌ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ يَوْمَ بَدْرٍ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ اللَّهُمَّ إِنْ تَشَأْ لا تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ**» فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَلْحَحْتَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَهُوَ يَثِبُ فِي الدِّرْعِ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر:٤٥] [رواه البخاري ٤٨٧٥].

○ **تعدد ما نزل في شخص واحد:**

**١-موافقات عمر بن الخطاب**

أخرج البخاري عن أنس قال:

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ وَافَقْتُ اللهَ فِي ثَلَاثٍ، أَوْ وَافَقَنِي رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوِ اتَّخَذْتَ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّىٰ، وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ فَلَوْ أَمَرْتَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَابِ، فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ الْحِجَابِ، قَالَ: وَبَلَغَنِي مُعَاتَبَةُ النَّبِيِّ ﷺ

بَعْضَ نِسَائِهِ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِنَّ قُلْتُ: إِنِ انْتَهَيْتُنَّ أَوْ لَيُبَدِّلَنَّ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ خَيْرًا مِنْكُنَّ، حَتَّىٰ أَتَيْتُ إِحْدَىٰ نِسَائِهِ، قَالَتْ: يَا عُمَرُ أَمَا فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا يَعِظُ نِسَاءَهُ حَتَّىٰ تَعِظَهُنَّ أَنْتَ؟! فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿ **عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ** ﴾ [التحريم:٥] الْآيَةَ وَقَالَ ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ أَخْبَرَنَا يَحْيَىٰ بْنُ أَيُّوبَ حَدَّثَنِي حُمَيْدٌ سَمِعْتُ أَنَسًا عَنْ عُمَرَ. [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ٤٤٨٣].

وفي رواية مسلم «وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ: فِي الْحِجَابِ وَفِي أُسَارَىٰ بَدْرٍ وَفِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ».

**نزلت آيات في سعد بن أبي وقاص**

قال كانت أمي حلفت ألا تأكل وتشرب حتىٰ أفارق محمدًا ﷺ فأنزل الله: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ [لقمان:١٥] [رواه مسلم والبخاري في الأدب المفرد].

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ عَنْ مُصْعَبِ ابْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ جِئْتُ بِسَيْفٍ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ قَدْ شَفَىٰ صَدْرِي مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَوْ نَحْوَ هَذَا هَبْ لِي هَذَا السَّيْفَ، فَقَالَ: «**هَذَا لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ**» فَقُلْتُ: عَسَىٰ أَنْ يُعْطَىٰ هَذَا مَنْ لَا يُبْلِي بَلَائِي فَجَاءَنِي الرَّسُولُ فَقَالَ: «**إِنَّكَ سَأَلْتَنِي وَلِيس لِي وَإِنَّهُ قَدْ صَارَ لِي وَهُوَ لَكَ**» قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿ **يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ** ﴾ [الأنفال:١] الْآيَةَ قَالَ أَبُو عِيسَىٰ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَدْ رَوَاهُ سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ عَنْ مُصْعَبٍ أَيْضًا وَفِي الْبَاب عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ * [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ٣٢٧٥].

### جمع القرآن وترتيبه:

**يطلق جمع القرآن ويراد به عند العلماء أحد معنيين.**

#### المعنى الأول:

جمعه بمعنىٰ حفظه وجماع القرآن حفاظه وهذا المعنىٰ هو الذي ورد في قوله تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٦، ١٧] أي إن علينا أن نجمعه في صدرك ونبينه بلسانك.

#### المعنى الثاني:

جمع القرآن بمعنىٰ كتابته كله في صحائف مجتمعة تضم السور والآيات جميعًا.

### عصور جمعه:

#### الجمع الأول في عهد الرسول ﷺ:

**حفظه في الصدور**، فأول الحفاظ والقراء هو الرسول ﷺ، فكان النبي ﷺ يترقب نزول القرآن بشوق، ويتعجل قراءته حتىٰ طمأنه الله وقال له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٦-١٨].

**ثم تأسىٰ الصحابة برسول الله ﷺ** في حفظهم للقرآن شغفًا بأصل الدين ومصدر الرسالة، فكلما نزلت آية حفظت في الصدور، ووعتها القلوب، حيث كانت الأمة الإسلامية بسجيتها قوية الذاكرة، تستعيض عن أميتها في كتابة أخبارها وأشعارها وأنسابها بسجل صدورها، وقد حفظ القرآن عدد كبير من

الصحابة، فقد وردت الأحاديث أنه قُتِل في عهد النبي ﷺ سبعون قارئًا في بئر معونة، وسبعون مثلهم في حرب اليمامة، وحرص الصحابة أشد الحرص علىٰ مدارسة القرآن، وإحياء ليلهم به، ولقد كان الرسول ﷺ يشجعهم علىٰ ذلك، ويستمع إلىٰ قراءتهم.

**كتابته في السطور علىٰ عهد رسول الله ﷺ** فلقد اتخذ رسول الله ﷺ كتابًا للوحي من أجلاء الصحابة رضي الله عنهم كعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان، فإذا نزلت الآية أمرهم الرسول ﷺ بكتابتها، ويرشدهم إلىٰ موضعها من سورتها، وقد كان بعض الصحابة يكتبون القرآن ابتداء من أنفسهم دون أن يأمرهم النبي ﷺ، فكانوا يخطونه في العسب، واللخاف، والكرانيف، والرقاع، والأقتاب، والأكتاف، وكان الصحابة يعرضون علىٰ رسول الله ﷺ ما لديهم من القرآن حفظًا وكتابة.

وذكر العلماء أن زيد بن ثابت كان عرضه متأخرًا مما جعل أبا بكر الصديق وعثمان بن عفان يختارونه لجمع القرآن، وتوفي رسول الله ﷺ والقرآن مجموع كله في صدور الرجال، ومكتوب في سطور الرقاع متفرقة بالأحرف السبعة الواردة، ولكنه لم يجمع في مصحف واحد لأن الرسول ﷺ كان يترقب نزول الوحي بين فترة وأخرىٰ، ولم يكن مرتب الآيات والسور في مصحف واحد وهذا ما يسمىٰ بالجمع الأول.

### ○ الجمع الثاني في عهد أبي بكر الصديق:

**الداعي إلىٰ ذلك:**

واجهت أبا بكر الصديق عند قيامه بأمر الخلافة أحداث جسام في ارتداد

جمهرة العرب فجهز الجيوش لمحاربة المرتدين حيث استشهد في معركة اليمامة عدد كبير من الصحابة كما استشهد من القراء وحفظة القرآن سبعون مما جعل عمر بن الخطاب يشير علىٰ أبي بكر بجمع القرآن وكتابته خشية الضياع والنسيان إلا أن أبا بكر نفر لهذه المشورة بادئ الأمر وقال كيف أقوم بعمل لم يقم به رسول الله ﷺ فقال له عمر ذلك والله خير وما زال عمر يراوده حتىٰ شرح الله صدر أبي بكر لما شرح به صدر عمر فأرسل إلىٰ زيد بن ثابت وأشار عليه بجمع القرآن فرفض بادئ الأمر إلا أن أبا بكر الصديق أخذ بدوره يبين له أن هذا العمل المراد به حفظ كتاب الله تعالىٰ وهو خير عمل حتىٰ شرح الله صدر زيد بن ثابت لهذا العمل.

**منهج زيد بن ثابت في جمع القرآن:**

تتبع زيد في جمع القرآن من العسب واللخاف وصدور الرجال فكان منهجه أن يسمع من الرجال ثم يعرض ما سمعه علىٰ ما كان مجموعا في العسب والأكتاف وكان رضي الله عنه لا يكتفي بالسماع فقط دون الرجوع إلىٰ الكتابة وكذلك من منهجه في جمع القرآن أنه لا يقبل من أحد شيئًا حتىٰ يشهد عليه شاهدان وهذا زيادة في التحفظ مع أن زيدا كان من حفظة القرآن.

وبهذا التثبت والتحفظ تم جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق في مصحف واحد مرتب الآيات والسور مشتملا علىٰ الأحرف السبعة مقتصرًا علىٰ ما لم تنسخ تلاوته فكان أبو بكر أول من جمع القرآن بهذه الصفة فقد قال عنه علي رضي الله عنه: «أعظم الناس أجرًا في المصاحف أبو بكر رحمه الله؛ لأنه أول من جمع كتاب الله» وانتقل هذا المصحف إلىٰ عمر بن الخطاب بعد وفاة أبي بكر ثم إلىٰ حفصة بنت عمر بن الخطاب بعد وفاة عمر وهذا ما يسمىٰ بالجمع الثاني.

○ **الجمع الثالث في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:**

**الداعي إلىٰ ذلك:**

اختلاف الأمة في قراءة القرآن فكل مصر من الأمصار يقرأ بقراءته التي تلقاها من ذلك الصحابي ولقد بلغ هذا الخلاف أشده وكاد يكفر بعضهم بعضًا فبلغ الخبر عثمان بن عفان فأرسل إلىٰ حفصة أن أرسلي لنا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ففعلت فأمر زيد بن ثابت وثلاثة نفر من قريش بنسخها في المصاحف.

**منهج عثمان في جمع القرآن:**

قال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل القرآن بلسانهم ففعلوا حتىٰ إذا استكمل النسخ من المصاحف التي عند حفصة رد عثمان المصحف إليها وكان جمعه علىٰ حرف واحد من الأحرف السبعة التي كانت موجودة في المصحف حتىٰ لا تختلف الأمة بوجه من الوجوه وحرق بقية المصاحف المكتوبة علىٰ سبعة أحرف وهكذا تم لعثمان جمع القرآن علىٰ قراءة واحدة بحرف واحد وتلقت الأمة هذا العمل الجليل بالقبول وتركت القراءة بالأحرف الستة وبهذا قطع عثمان دابر الفتنة وحسم الخلاف وأرسل إلىٰ كل مصر من الأمصار مصحفا عثمانيا وحرق جميع المصاحف وهذا يسمىٰ بالجمع الثالث للقرآن.

❑ **شبهات حول جمع القرآن:**

○ **الشبهة الأولى:**

يزعم بعض غلاة الشيعة أن أبا بكر وعمر وعثمان حرفوا القرآن وأسقطوا

بعض آياته وسوره فحرفوا لفظة أُمَّةٌ في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [النحل:٩٢] زعمًا منه أن الأصل قبل التحريف (أَئِمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أَئِمَّةٍ) وأسقطوا من سورة الأحزاب آيات فضائل أهل البيت وأسقطوا سورة تسمىٰ سورة الولاية بكاملها وتمامها من القرآن.

**الإجابة على هذه الشبهة:**

إن هذه أقاويل وأباطيل لا سند لها وقد تبرأ بعض علماء الشيعة من هذا السخف ولقد انعقد الإجماع بما فيهم علي رضي الله عنه بتواتر القرآن الذي بين دفتي المصحف وقد قال علي في حق أبي بكر الصديق هو أول من جمع القرآن كتاب الله وقال في جمع عثمان: يا أيها الناس اتقوا الله وإياكم والغلو في عثمان وقولكم حراق المصاحف فوالله ما حرقها إلا علىٰ ملأ منا أصحاب رسول ﷺ وقال: لو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت في المصاحف مثل الذي فعل عثمان.

○ **الشبهة الثانية:**

قالوا بأن كثيرًا من آيات القرآن لم يكن بها قيد سوىٰ حفظ الصحابة وقد قُتل بعضهم وذهب معهم ما كانوا يحفظونه.

**والجواب على هذه الشبهة:**

أن ما كان يحفظه الشهداء كان يحفظه كثير غيرهم من الأحياء الذين لم يستشهدوا ولم يموتوا بدليل قول عمر: (وأخشىٰ أن يموت القرآن من سائر المواطن) ومعروف أن أبا بكر وعمر وزيد بن ثابت وغيرهم من الصحابة كانوا

قد حفظوا القرآن كله جملة وهؤلاء عاشوا حتىٰ جمع القرآن كله في المصاحف.

وهناك عدة شبه أثيرت حول القرآن من قبل أعداء الإسلام ومن المستشرقين ومن الطاعنين الذين انتسبوا إلىٰ الإسلام وليسوا منه في شيء والإسلام منهم براء.

### ❐ رسم المصحف العثماني والأقوال فيه:

#### ○ القول الأول:

أن الرسم العثماني ليس وقفًا عن النبي ﷺ ولكنه اصطلاح ارتضاه عثمان وتلقته الأمة بالقبول فيجب التزامه والأخذ به ولا يجوز مخالفته.

#### ○ القول الثاني:

أن الرسم العثماني اصطلاحي لا توقيفي وعليه فيجوز مخالفته وهو رأي ابن خلدون وأبي بكر الباقلاني.

#### ○ القول الثالث:

أنه توقيفي لا يجوز مخالفته وهو مذهب الجمهور واستدلوا بأن النبي ﷺ كان له كتاب يكتبون الوحي وقد كتبوا القرآن كله بهذا الرسم وقد أقرهم الرسول ﷺ علىٰ كتابتهم وقضي عهده ﷺ والقرآن علىٰ هذه الكتبة لم يحدث فيه تغيير ولا تبديل.

### أقوال الفقهاء في التزام الرسم العثماني:

○ **قول الإمام مالك:**

سئل مالك أرأيت من استكتب مصحفًا أترىٰ أن يكتب علىٰ ما استحدثه الناس من الهجاء اليوم؟ فقال: لا أرىٰ ذلك ولكن يكتب علىٰ الكتبة الأولىٰ.

○ **قول الإمام أحمد:**

تحرم مخالفة خط عثمان في واو أو ألف أو ياء أو غير ذلك.

○ **قول الشافعية:**

جاء في فقه الشافعية في حواشي المنهج أن رسم المصحف سنة متبعة.

○ **قول الحنفية:**

وجاء في فقه الحنفية في المحيط أنه لا ينبغي ألا يكتب بغير الرسم العثماني.

○ **قول النيسابوري:**

وقال جماعة من الأئمة إن الواجب علىٰ القراء والعلماء وأهل الكتابة أن يتبعوا هذا الرسم في خط المصحف فإنه رسم زيد بن ثابت وكان أمين رسول الله ﷺ وكاتب وحيه.

○ **قول البيهقي في «شعب الإيمان»:**

من كتب مصحفًا ينبغي أن يحافظ علىٰ الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير ما كتبوه شيئًا فإنهم كانوا أكثر علمًا وأصدق قلبًا وأعظم أمانة فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكًا عليهم.

### ❏ تحسين الرسم العثماني:

كانت المصاحف العثمانية خالية من النقط والشكل اعتمادًا علىٰ السليقة العربية التي لا تحتاج إلىٰ مثل هذه النقط والتشكيلات وظلت هكذا حتىٰ دخلت العجمة بكثرة الاختلاط وتطرق اللحن إلىٰ اللسان العربي عندئذ أحس أولوا الأمر بضرورة تحسين كتابة المصحف وإدخال النقط والشكل علىٰ الكتابة لصيانة المصحف من اللحن والتحريف مما يساعد علىٰ القراءة الصحيحة وعدم المساس بكتاب الله تعالىٰ بسوء.

### ❏ أول من شكل المصحف:

اختلف العلماء في ذلك منهم من قال أبو الأسود الدؤلي الذي ينسب إليه وضع ضوابط اللغة العربية بأمر من علي بن أبي طالب عندما سمع قارئا يجر اللام من كلمة رسوله في قول الله تعالىٰ في سورة التوبة: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة:٣] بجر اللام فتغير المعنىٰ تمامًا إلىٰ العكس والضد ففزع لهذا اللحن وقال عز الله أن يبرأ من رسوله فعندئذ قام بوضع ضوابط لتشكيل المصحف حفاظًا عليه من اللحن وهذا هو الرأي الراجح والصحيح ومن العلماء من قال إن أول من شكل المصحف هو الحسن البصري ويحيىٰ ابن يعمر ونصر بن عاصم الليثي بأمر من الحجاج والرأي الأول أرجح.

### ❏ تدرج تحسين رسم المصحف:

كان الشكل في الصدر الأول نقطًا فالفتحة نقطة علىٰ أول الحرف والضمة نقطة علىٰ آخره والكسرة نقطة تحت أول الحرف والسكون ساكن ثم تدرج

فأصبحت الفتحة شكلة مستطيلة فوق الحرف والكسرة تحته والضمة واو صغيرة فوقه ثم بعد ذلك مر المصحف في طور التجديد والتحسين علىٰ مر العصور حتىٰ استقر علىٰ هذا الشكل الذي هو عليه الآن من الخطوط الجميلة الواضحة وابتكار العلامات المميزة والاصطلاحات المفيدة فجزا الله من سبقونا في خدمة قرآن ربنا خير الجزاء.

## ❐ المحكم والمتشابه:

### تعريف المحكم:

**لغة**: المنع يقال أحكم الشيء أي أتقنه ومنعه عن الفساد ويقولون أحكمت الدابة أي منعت وقيل رجل آتاه الله الحكمة أي العلم أو الحكم والنبوة أو القرآن لأن فيها معاني رادعة وتمنع صاحبها عما لا يليق والحاكم يمنع الظالم من ظلمه ويفصل بين الخصمين وإحكام الكلام إتقانه بتمييز الصدق من الكذب.

**اصطلاحًا**: اختلف الأصوليون علىٰ أقوال منها:

أن المحكم ما عرف المراد منه إما بالظهور أو بالتأويل.

أن المحكم لا يحتمل من التأويل إلا وجهًا واحدًا.

أن المحكم هو الواضح الدلالة الذي لا يحتمل النسخ.

أن المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج إلىٰ بيان.

أن المحكم هو المتقن الذي لا يتطرق إليه إشكال.

**تعريف المتشابه:**

**لغة:** مأخوذ من التشابه وهو أن يشبه أحد الشيئين الآخر ويدل علىٰ المشاركة في المماثلة والمشاكلة المؤدي إلىٰ الالتباس في الغالب يقال تشابها واشتبها أي أشبه كل منهما الآخر حتىٰ التبسا والشبه بالضم الالتباس يقال أشبه عليه الأمر تشبيها أي التبس عليه ومنه قوله تعالىٰ حكاية عن بني إسرائيل: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة:٧٠].

**اصطلاحًا:**

ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدابة والدجال.

ما لم يستقل بنفسه واحتاج إلىٰ بيان برده إلىٰ غيره.

ما احتمل أكثر من وجه.

غير واضح الدلالة ويحتمل النسخ.

○ **القرآن من حيث الإحكام والتشابه:**

١ - قال بعض أهل العلم كله محكم بمعنىٰ إحكام ألفاظه ومعانيه وعدم وجود اختلال فيه واختلاف متقن في النظم والترتيب والرصف قال تعالىٰ: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١].

٢-كله متشابه بمعنىٰ أن آياته متشابه في الكمال والإعجاز والإحكام والنفع والصدق والهداية إلىٰ الخير كما يصدق بعضه بعضًا في الأوامر والنواهي بحيث إذا أمر بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر وإذا نهىٰ عن شيء لم يأمر به في موضع آخر قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾

[الزمر:٢٣].

٣- بعضه محكم وبعضه متشابه بمعنىٰ أن الآيات المحكمة هي أم الكتاب وأصله الذي يرجع إليه والآيات المحكمات هن الواضحات الدلالة لا التباس فيها علىٰ أحد بعكس الآيات المتشابهات فهي متشابهات في الدلالة علىٰ كثير من الناس ويعلمها الذين أوتوا العلم أما الذين وصفهم الله تعالىٰ بأن في قلوبهم مرض فإنهم يتبعون المتشابه فيه يبتغون افتتان الناس وبعدهم عن الحق قال تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧].

### المتشابه يرد إلى المحكم:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر:٥٣] هذه الآية متشابهة تحمل معنيين:

**المعنىٰ الأول:** غفران الذنوب جميعًا لمن تاب.

**المعنىٰ الثاني:** غفران الذنوب جميعًا لمن لم يتب فنردها إلىٰ المحكمة وهي قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ [طه:٨٢] تبين من الآية المحكمة أن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب وهو مؤمن واتبع طريق الهدىٰ.

**آية متشابهة قوله تعالىٰ:** ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩] هذه الآية تحتمل معنيين:

**المعنىٰ الأول**: أن كلمة إنا نحن تحتمل الواحد المعظم لنفسه وهو حق.

**المعنىٰ الثاني**: أنها للجماعة وهو باطل فنردها إلىٰ الآية المحكمة وتحتمل أيضا الواحد ومعه غيره فهي آية متشابهة تمسك بها النصارىٰ الذين قالوا بالتثليث نرده إلىٰ الآية المحكمة وهي قوله تعالىٰ: ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [النحل:٢٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾ [المؤمنون:٩١]، وقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:١] تبين من الآيات المحكمة أن المراد بقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ﴾ [الحجر:٩] هو الله الواحد الأحد المعظم لنفسه.

○ **منشأ التشابه:**

يرجع التشابه إلىٰ خفاء مراد الشارع في كلامه فمرة يرجع إلىٰ اللفظ وذلك مثل قوله تعالىٰ: ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴾ [الصافات:٩٣] فلفظة اليمين تحتمل استعمل يده اليمين غير الشمال وتحتمل أيضًا أن الضرب كان بقوة لأن اليمين أقوىٰ الجارحتين وتحتمل أن الضرب كان بسبب اليمين التي حلفها إبراهيم وهي قوله تعالىٰ: تَاللهِ ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴾ [الأنبياء:٥٧].

ومرة يرجع إلىٰ المعنىٰ مثل ما استأثر الله بعلمه من أهوال يوم القيامة وعلامات الساعة والجنة والنار.

ومرة يرجع الخفاء إلىٰ اللفظ والمعنىٰ وذلك مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾ [البقرة:١٨٩] فهذا الخفاء في المعنىٰ وفي اللفظ معا إذ لا يمكن معرفة معنىٰ هذه الآية إلا بالرجوع إلىٰ تفسيرها حيث تبين معناها أن الرجل كان إذا

لبس ملابس الإحرام في الجاهلية لا يدخل البيت من بابه بل يتسور بيته ويدخل فأبطل الله هذه العادة الجاهلية فنزلت الآية. [راجع تفسير ابن كثير سورة البقرة آية:١٨٩ وفيها آراء أخرىٰ].

### ❐ خلاصة المتشابه:

- ما لا يستطيع أحد أن يصل إليه كالعلم بذات الله وحقائق صفاته وعلم الغيب.

- ما يستطيع كل إنسان أن يعرفه عن طريق البحث والمعرفة.

- ما لا يعلمه إلا الخواص من العلماء دون عامتهم وهم الراسخون في العلم.

### ❐ آيات الصفات:

**أنها محكمة لكونها صفات الله تعالىٰ:**

متشابهة بالنسبة لنا من حيث كيفيتها مثل صفة الاستواء علىٰ العرش فهي معلومة في معناها لكن كيفيتها مجهولة كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، أي الاستواء معلوم فنؤمن به وكيفيته نفوض الأمر فيها لله فلا نخوض فيها لأن ذلك طريق إلىٰ الابتداع.

تأويل قوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [آل عمران:٧].

يدعون المحكم الذي لا اشتباه فيه مثل: ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾ [البقرة:١٦٣] ويتبعون المتشابه مثل: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ ﴾ [الحجر:٩] ويقولون بالتثليث وقد سبق بيانه.

ابتغاء الفتنة والفتنة هي طلب الشبهات والتلبيس على المؤمنين.

روى البخاري في «صحيحه»

حَدَّثَنَا عَبْدُاللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التُّسْتَرِيُّ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧] قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ٤٥٤٧].

### ☐ الوقوف في قوله تعالى وما يعلم تأويله إلا الله:

جمهور السلف يرون الوقوف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧] أرادوا بذلك الكيفية.

مجاهد وطائفة أخرى من السلف واختاره النووي في شرح مسلم الوقوف على والراسخون في العلم وقالوا إن المراد التفسير وهو الكلام الذي يفسر به اللفظ ولا يعلم تأويله على وجه الكمال إلا الله سبحانه والرأي الأول أولى بالصواب.

## ❒ الناسخ والمنسوخ:

**تعريف الناسخ:**

**لغة**: الإزالة: يقال نسخت الشمس الظل أي أزالته ويطلق بمعنىٰ نقل الشيء من موضع إلىٰ موضع ومنه نسخت الكتاب قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية:٢٩].

**اصطلاحًا**: رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي متراخ عنه.

**المنسوخ:**

هو الحكم المرتفع مثال آية المواريث ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء:١١] نسخت حكم الوصية للوالدين ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٨٠].

○ **شروط الناسخ:**

١ - أن يكون الحكم المنسوخ شرعيًّا.

٢ - أن يكون الدليل علىٰ ارتفاع الحكم دليلًا شرعيًّا متراخيًا عن الخطاب المنسوخ حكمًا.

٣ - أن لا يكون الخطاب المرفوع حكمه مقيدًا بوقت معين مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة:١٠٩] فالعفو والصفح مقيد بمجيء أمر الله.

**○ ما يقع فيه النسخ:**

١ - يقع النسخ في الأوامر والنواهي.

٢ - لا يقع النسخ في العقيدة كذات الله وصفاته وكتبه واليوم الآخر ولا يقع في الخبر الصريح كالوعد والوعيد.

٣ - لا يقع في الأخلاق والآداب التي حث عليها الإسلام مثل: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [لقمان:١٨].

٤ - لا يقع في أصول العبادات والمعاملات لأن جميع الشرائع لا تخلو من هذه الأصول ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾ [الشورى:١٣].

**○ أهمية النسخ:**

ركن عظيم في فهم الإسلام وفي الاهتداء إلىٰ صحيح الأحكام حتىٰ لا تختلط وهو ذو أهمية عند أهل العلم من الفقهاء والأصوليين قال ابن عباس في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة:٢٦٩] قال: ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحرامه وحلاله.

**○ طرق معرفة الناسخ والمنسوخ:**

١ - النقل الصريح عن النبي ﷺ أو عن الصحابة مثال حديث:

«**نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا**» [مسلم: ٩٧٧].

٢ - إجماع الأمة علىٰ أن هذا ناسخ أو منسوخ.

٣ – معرفة المتقدم والمتأخر في التنزيل بالتاريخ.

○ **الآراء في النسخ:**

١ – **اليهود**: ينكرون النسخ ويقولون يستلزم البداء وهو الظهور بعد الخفاء وهو محال علىٰ الله واليهود أنفسهم يعترفون أن شريعة موسىٰ ناسخة لما قبلها وهذا من تناقضاتهم الكثيرة.

٢– **الروافض**: غالوا في إثبات النسخ وتوسعوا فيه وأجازوا البداء علىٰ الله واستدلوا بأقوال نسبوها إلىٰ جعفر الصادق وعلي بن أبي طالب وأهل البيت زورا وبهتانا وفسروا قوله تعالىٰ: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد:٣٩] أي أنه يظهر له المحو والإثبات.

٣– **أبو مسلم الخراساني** قال جائز عقلًا ويمتنع شرعًا ودليله قوله تعالىٰ: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ [فصلت:٤٢] أي أن أحكامه لا تبطل أبدًا ويحمل آيات النسخ علىٰ التخصيص.

٤ – **جمهور العلماء**: جائز عقلًا وواقع شرعًا واستدلوا بأمرين:

١ – أن أفعال الله لا تعلل بالأغراض فله أن يأمر بالشيء في وقت وينسخه بالنهي في وقت آخر لعلمه بمصالح العباد.

٢– نصوص الكتاب والسنة دالة علىٰ جواز النسخ ووقوعه مثال قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ [النحل:١٠١].

### أقسام النسخ:

**○ القسم الأول: نسخ القرآن بالقرآن:**

وهو متفق علىٰ جوازه ووقوعه ومثاله قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ [البقرة:٢٤٠] نسخت بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة:٢٣٤] .

**○ القسم الثاني: نسخ القرآن بالسنة:**

١ - نسخ القرآن بالسنة الآحادية والجمهور علىٰ عدم جوازه.

٢ - نسخ القرآن بالسنة المتواترة. أجازه مالك وأبو حنيفة ورواية عن أحمد واستدلوا بأن الكل وحي ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:٣، ٤].

٢- منعه الشافعي وأهل الظاهر ورواية أخرىٰ لأحمد واستدلوا بقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [البقرة:١٠٦].

قالوا: والسنة ليست خير من القرآن ولا مثله.

**○ القسم الثالث: نسخ السنة بالقرآن:**

وأجازه الجمهور ومثلوا له بنسخ التوجه إلىٰ بيت المقدس الذي كان ثابتًا بالسنة بالتوجه إلىٰ البيت الحرام ونسخ صيام يوم عاشوراء بصوم شهر رمضان.

○ **القسم الرابع: نسخ السنة بالسنة:**

١- نسخ متواتر بمتواتر جائز.

٢- نسخ آحاد بآحاد.

٣- نسخ آحاد بمتواتر جائز.

٤- نسخ متواتر بآحاد غير جائز عند الجمهور.

○ **أنواع النسخ:**

١- نسخ التلاوة والحكم ومثل له العلماء بآية العشر رضعات فإنها نسخت حكمًا وتلاوة.

٢- نسخ الحكم وبقاء التلاوة ومثاله نسخ آية العدة بالحول مع بقاء تلاوتها وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة:٢٤٠].

٣- نسخ التلاوة مع بقاء الحكم مثل آية الرجم «والشيخ والشيخة إن زنيا فارجموهما البتة نكالًا من الله والله عزيز حكيم» وذلك كما روىٰ ابن ماجة قال:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ قَالَا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَطُولَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ حَتَّىٰ يَقُولَ قَائِلٌ مَا أَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللهِ فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ أَلَا وَإِنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ إِذَا أُحْصِنَ الرَّجُلُ وَقَامَتِ الْبَيِّنَةُ أَوْ كَانَ حَمْلٌ أَوِ اعْتِرَافٌ وَقَدْ قَرَأْتُهَا الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ رَجَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ *

### ○ النسخ إلى بدل وإلى غير بدل:

١- النسخ إلىٰ بدل أخف منه مثل ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة:١٨٧] نسخت بقوله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة:١٨٣].

٢- النسخ إلىٰ بدل مماثل كنسخ التوجه من بيت المقدس إلىٰ البيت الحرام ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [البقرة:١٤٤].

٣- النسخ إلىٰ بدل أثقل كنسخ الحبس في البيوت للاتي فعلن الفاحشة من النساء: وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ [النساء: ١٥] بالرجم للمحصن والجلد والتغريب لغير المحصن.

٤- النسخ إلىٰ غير بدل كنسخ الصدقة بين يدي نجوىٰ رسول الله ﷺ إلىٰ عدم الصدقة.

### ○ خلاصة النسخ:

١- تبديل في المعلوم لا في العلم.

٢- تغيير في المخلوق لا في الخالق.

٣- كشف لنا وبيان عن بعض ما سبق به علم الله المحيط بكل شيء.

### ○ حكمة النسخ:

١ - مراعاة مصالح العباد.

٢ - تطور التشريع إلىٰ مرتبة الكمال حسب تطور الدعوة وحال الناس.

٣ - ابتلاء المكلف واختباره بالامتثال أو عدمه.

٤ - إرادة الخير للأمة والتيسير عليها إن كان إلىٰ أشق ففيه زيادة ثواب وإن كان إلىٰ أخف ففيه سهولة ويسر.

## ❐ إعجاز القرآن:

١- الإعجاز إثبات الإعجاز والعجز هو ضد القدرة وهو القصور عن فعل الشيء وإذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجز.

٢- تعريف المعجزة هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة.

### ○ شروط المعجزة:

١- أمر خارق للعادة غير ما اعتاد عليه الناس من سنن الكون والظواهر الربانية.

٢- أنها مقرونة بالتحدي تحدي المكذبين الشاكين.

٣- أمر سالم من المعارضة فمتىٰ أمكن لأحد أن يعارض هذا الأمر ويأتي بمثله بطل أن يكون معجزة.

### ○ أنواع المعجزات:

**النوع الأول معجزة حسية:**

مثل معجزات الأنبياء كناقة صالح وعصا موسىٰ وإبراء الأكمه والأبرص لعيسىٰ.

**النوع الثاني معجزة عقلية.**

وهي القرآن الكريم ومعجزة الرسول ﷺ الخالدة.

○ **الفرق بين معجزة الرسول ﷺ ومعجزات إخوانه من الأنبياء:**

١- معجزات الأنبياء حسية فلهذا انقرضت بانقراض عصورهم فلم يشاهده إلا من حضرها.

٢- معجزات الرسول ﷺ عقلية وهي مستمرة إلىٰ يوم القيامة وذلك كما قال الرسول ﷺ كما روىٰ البخاري قال:

حَدَّثَنَا عَبْدُالْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِاللهِ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أُومِنَ أَوْ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ٧٢٧٤].

○ **تحدي القرآن للعرب وعجزهم عن ذلك:**

١- تحداهم القرآن كله في أسلوب عام يتناولهم ويتناول غيرهم من الإنس والجن في حال اجتماعهم قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨] فعجزوا عن الإتيان بمثله.

٢- تحداهم بعشر سور منه قال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[هود:١٣، ١٤] .

٣ - تحداهم بسورة واحدة منه قال تعالىٰ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ [البقرة:٢٣] فعجزوا عن الإتيان بسورة مثله وبعجزهم ثبتت الرسالة.

### ❐ الأقوال في وجوه الإعجاز:

**○ القول الأول:**

١- ذهب النَّظَّام ومن تابعه من الشيعة كالمرتضي إلىٰ أن إعجاز القرآن بالصرفة ومعناها أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع مهارتهم عليها فكان هذا هو الخارق للعادة وسلبهم للعلوم التي يحتاج إليها للمعارضة. «أي أن الله هو الذي صرف العرب عن المعارضة» وهذا رأي لا يصح ولا يجوز.

٢- الباقلاني رد عليهم فقال: مما يبطل القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منعتها الصرفة لم يكن الكلام معجزا وإنما يكون المنع هو المعجز.

والقول بالصرفة فاسد يرد عليه القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨] فإنه دل علىٰ عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم.

**○ القول الثاني:**

ذهب قوم إلىٰ أن القرآن معجز ببلاغته التي وصلت إلىٰ مرتبة لم يعهد لها

مثيل.

○ **القول الثالث:**

أن وجه إعجازه في نظمه البديع الغريب المخالف لما عهد في كلام العرب من الفواصل والقواطع.

○ **القول الرابع:**

أنه معجز لما تضمنه من العلوم المخلفة والحكم البليغة والحقيقة أنه معجز لكل ما يحمل هذا اللفظ من معنىٰ معجز في ألفاظه وأسلوبه وهو معجز في بيانه ونظمه ومعجز في علومه ومعارفه وهو معجز في تشريعه وصيانته لحقوق الإنسان والقرآن أولًا وآخرًا هو الذي صير العرب رعاة الشاء والقلة ساسة شعوب وقادة أمم وهذا وجه إعجاز.

○ **القول الخامس:**

وقال آخرون إن إعجازه في الإخبار عن المغيبات المستقبلية التي لا يطلع عليها إلا بالوحي أو الإخبار عن الأمور التي تقدمت منذ بدء الوحي.

❒ **الإعجاز اللغوي:**

بلغ القرآن الكريم القمة في إعجازه اللغوي حيث أعجز أساطين الفصحاء وأخرس ألسنة فحول البيان واحتار في أمره رجال الشعر والنثر وتحيرت العقول واندهشت من أسلوبه الخلاب الذي وقف أمامه الفكر ومن أراد الاستزادة فليرجع إلىٰ تفسير الآيات الأول من سورة المدثر.

وقصة الطفيل بن عامر الذي وضع في أذنيه قطنًا حتىٰ لا يسمع القرآن من

الرسول ﷺ وشاء الله أن يسمعه فأسلم رواه الحاكم والبيهقي.

وحيثما قلب الإنسان نظره في القرآن وجد أسرارا من الإعجاز اللغوي نجد ذلك في نظامه الصوتي البديع بجرس حروفه حتىٰ يسمع حركاتها وسكناتها ومدودها وفواصلها وقواطعها فلا يمل سامعه وإذا قرأ فكأنه يقرأه لأول مرة فالقرآن عجيب في نظمه وفي تأليفه ومواعظه وقصصه وأمثاله وقد جاء القرآن مع طوله وكثرته متناسباً في الفصاحة والبلاغة لأنه من عند الله ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

وقد اعتبر القرآن حجة علىٰ من سمعه أو حجة له.

وقد رد الله عليهم لما طلبوا من الرسول ﷺ آيات علىٰ صدق رسالته قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٥٠، ٥١].

من إعجاز القرآن أنه اشتمل علىٰ علم الغيب وقصص الماضين وذلك مما لا يقدر عليه علم البشر ولا سبيل لهم عليه فمن ذلك ما وعد الله به نبيه محمدًا ﷺ أنه سيظهر دينه علىٰ سائر الأديان قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣] ففعل ذلك وأظهر دينه وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه بإيمانه العميق وتصديقه للرسول ﷺ كان إذا أغزىٰ جيوشه عرفهم ما وعدهم الله من إظهار دينه ليثقوا بالنصر ويستيقنوا بالفلاح وكان عمر بن الخطاب يفعل ذلك في إمارته ويحرض أمراء الجيوش فكان النصر والفوز حليفهم حتىٰ اتسعت الفتوحات

الإسلامية في عهده قال تعالىٰ: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [آل عمران:١٢] فصدق الله ورسوله وصدق خلفاء رسوله الراشدون.

وعده تعالىٰ لأهل بدر بالنصر قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ [الأنفال:٧].

واشتمل القرآن علىٰ قصص الأقوام السابقة من حين أن خلق الله آدم إلىٰ حين مبعثه ﷺ وهذه الأمور لا سبيل إلىٰ معرفتها إلا بالتعلم والدراسة الوافية والرسول ﷺ لم يتعلم ولم يقع بين يديه كتاب جامع لهذه العلوم ولم يتلق دروسه علىٰ فطاحل العلماء وعباقرة عصره حتىٰ يكون في هذا المستوىٰ الثقافي والصحيح أنه لا يمكن أن يكون إلا بتأييد من جهة الوحي قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٨].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام:١٠٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [القصص:٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود:٤٩].

### الإعجاز التشريعي:

بدأ القرآن بتربية الفرد لأنه لبنة المجتمع ورباه علىٰ تحرير وجدانه وحمله التبعة وحرره بعقيدة التوحيد التي تخلصه من سلطان الخرافة والوهم والشرك وتفك أسره من عبودية الأهواء والشهوات حتىٰ يكون عبدًا خالصًا لله فإذا أصبح كذلك أخذ بشرائع القرآن من الفرائض والعبادات ففيها صلاح الفرد والمجتمع فإذا أداها المسلم بحب وإخلاص امتزجت روحه وحياته بشرع الله وأصبحت هذه الفرائض حارسًا له ووازعًا له من الفحشاء والمنكر وينتقل القرآن الكريم بإعجازه التشريعي إلىٰ بناء المجتمع وقيام نظام الحكم حيث قرر قواعد ومبادئ الدولة الإسلامية وأسس نظام الشورىٰ قال تعالىٰ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨] وشرع لها المبادئ العادلة ومساواة حقيقية بين أفراد المجتمع المسلم «**لا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوىٰ**» قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء:١٣٥].

قرر أيضًا مبدأ الزواجر الاجتماعية وهي العقوبات الرادعة وهي الجنايات والحدود صيانة وطهارة للمجتمع من الرذيلة قال تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٩].

فالقرآن منهج تشريعي كامل يقيم الحياة الإنسانية علىٰ أفضل صورة وأرقىٰ مثال وسيظل إعجازه اللغوي والعلمي والتشريعي إلىٰ الأبد حيث تهافتت أمامه كل التشريعات والقوانين الوضعية التي شقيت البشرية بظلها وتقنينها وأبعدتها عن جادة الحق وما زالت البشرية من جراء هذه التشريعات كالتفرقة العنصرية

واستعباد البشرية والغني القوي هو سيد الأرض المطاع ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

### ❑ الإعجاز العلمي:

القرآن هو كتاب عقيدة وهداية وإعجاز فلا يليق أن تتجاوز به حدود الهداية والإعجاز ونخضعه للنظريات العلمية فكلما ظهرت نظرية جديدة التمسنا لها محملا في آيات القرآن ونؤولها بما يوافق هذه النظرية هذا خطأ سائد عند كثير من الناس وإسراف في التأويل ما بعده إسراف لهذا روعيت في القرآن بالنسبة إلىٰ العلوم الكونية أمور واعتبارات لا يصدر مثلها عن مخلوق وهي:

١- أن الله تعالىٰ لم يجعل هذه العلوم الكونية من موضوع القرآن تفصيلًا وذلك لأنها خاضعة لقانون النشوء والارتقاء.

٢- أن القرآن دعا إلىٰ هذه العلوم من باب النظر والبحث والانتفاع بما في الكون من نعم وعبر ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: ١٠١].

٣- أن القرآن حين عرض لهذه الكونيات أشعرنا أنها مربوبة له تعالىٰ ومقهورة تحت مراده وتصرفه ونفىٰ عنها ما علق في أذهان الضالين الذين توهموها آلهة ذات تأثير وسلطان بينما هي خاضعة لله تعالىٰ وسلطانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾ [فاطر: ٤١]، وكذلك أشعرنا أنها هالكة ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

وإعجاز القرآن العلمي ليس في اشتماله علىٰ النظريات العلمية التي تتجدد

وتتبدل وتكون ثمرة للجهود البشرية بالبحث والنظر فإنما إعجازه في حثه على التفكير فهو يحث الإنسان على النظر في الكون ولا يشل حركة العقل في تفكيره أو يشل حركته في الاستزادة من العلوم كما حدث للكنيسة عندما شلت حركة العقل وهاجمت العلوم.

فالقرآن الكريم فيه إشارات علمية سيقت مساق الهداية وهي كثيرة في القرآن منها قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢٠، ٢١]، ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر:٢٢]، ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢٥].

القاعدة العلمية في قانون الضغوط فكلما ارتفع الإنسان عن سطح الأرض صار الضغط الداخلي أقوى من الضغط الخارجي فيضيق صدر الإنسان وتنقبض نفسه إذن تلك الإشارات العلمية ونظائرها في القرآن جاءت في سياق الهداية للعقل البشري أن يحس ويتدبر.

### ❑ شروط وآداب المفسر:

للمفسر شروط أجملها فيما يلي:

١- صحة الاعتقاد لأن عقيدة المفسر لها أثر في فهمه وكثيرًا ما تحمله على تحرِّي النصوص أو تأويلها ويحملها باطله الذي عنده ليصد الناس عن طريق السلف في التعامل مع آيات الله.

٢- التجرد عن الهوىٰ فالأهواء تدفع صاحبها إلىٰ نصرة مذهبه. (كالزمخشري الذي ينتصر لمذهبه الاعتزالي في تفسيره الكشاف).

٣- أن يبدأ أولا بتفسير القرآن بالقرآن فما أجمل في موضع فإنه قد يكون فُصِّل وبُسِط في موضع آخر.

٤- أن يطلب التفسير من السنة فإنها شارحة للقرآن موضحة له وقد ذكر القرآن أن أحكام رسول الله ﷺ إنما تصدر عنه عن طريق الوحي حتىٰ لو اجتهد النبي ﷺ في أمر ولم يكن موافقا للوحي نزل القرآن وصوب هذا الاجتهاد كما حدث في أسارىٰ بدر وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء:١٠٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤]، وقول النبي ﷺ: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه**».

٥- فإن لم يجد التفسير من السنة رجع إلىٰ أقوال الصحابة فإنهم أدرىٰ بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزول القرآن ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح.

٦- فإذا لم يجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة فليرجع إلىٰ أقوال التابعين؛ كمجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولىٰ ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيب، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك بن مزاحم، وغيرهم من التابعين؛ لأنهم من الصحابة الذين عاينوا التنزيل وربما تكلموا في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال والذي يعتمد عليه في ذلك كله النقل الصحيح.

٧- العلم باللغة العربية وفروعها لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين ويتوقف شرحه وفهمه علىٰ شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع في لغة العرب والإعراب (علم النحو) عليه معول كبير في هذا الباب.

٨- العلم بأصول العلوم المتصلة بالقرآن كعلم القراءات الذي به يعرف النطق الصحيح وتنوع القراءات وعلم التوحيد الصحيح حتىٰ لا يُأوِّل صفات الله ﷻ تأويلًا يتجاوز به الحق وعلم الأصول وأصول التفسير كمعرفة أسباب النزول والمكي والمدني والناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيد والمحكم والمتشابه وقرائن التأويل إن كان لابد منه.

٩- دقة الفهم ليتمكن المفسر من ترجيح معنىٰ علىٰ آخر أو استنباط معنىٰ يتفق مع نصوص الشريعة مجتمعة.

❑ **آداب المفسر:**

١- حسن النية وصحة القصد.

٢- حسن الخلق لأنه كالمؤدب يحتذىٰ به.

٣- الامتثال والعمل لأن العلم لا يجد قبولا عند الناس إلا من العاملين به.

٤- تحري الصدق والضبط في النقل فلا ينقل كلام أحد إلا إذا تثبت منه.

٥- التواضع ولين الجانب فأحيانا يكون الإعجاب بالنفس سببا في عدم قبول العلم.

٦- عزة النفس فمن الواجب علىٰ العالم أن يترفع عن سفاسف الأمور ولا يغشىٰ أعتاب الجاه والسلطان كالسائل المتكفف. (إلا ما كان من العالم من

باب النصيحة للسلطان أو من ينوب عنه)

٧- الجهر بالحق والصدع به (بحسب استطاعته) لأن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر.

٨- حسن السمت في الشكل والسلوك العملي.

٩- الأناة والروية عند السرد لما عنده لا يسرد كما يسرد الناس أحاديثهم بل يفصل الكلام تفصيلًا ويوضحه إيضاحًا لا لبس فيه ولا غموض.

## ❑ نشأة التفسير وتطوره:

### ○ تعريف التفسير:

**لغة:** الإيضاح والتبيين والكشف وإظهار المعنىٰ المعقول، تقول فسر الشيء وفسره أي أبانه قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣] أي بيانًا وتفصيلًا كما قال ابن عباس رضي الله عنهما.

**اصطلاحًا:**

هو علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وعرفه الزركشي بأنه علم يفهم به كتاب الله تعالىٰ المنزل علىٰ نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه.

### ○ تعريف التأويل:

**لغة:** مأخوذ من الأول وهو الرجوع إلىٰ الأصل يقال آل إليه أولًا ومآلًا كذا

أي رجع وأصله من المآل وهو العاقبة والمصير ﴿ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴾ [الكهف:٨٢].

**اصطلاحًا**: له معنيان عند السلف:

١- تأويل الكلام أي ما يؤول إليه الكلام ويرجع إلىٰ حقيقته وهي المقصود كما قال تعالىٰ: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُ ﴾ [الأعراف:٥٣]. إذن التأويل في هذه مجيء ما أخبر القرآن بوقوعه من القيامة وأشراطها ووضع الموازين والجنة والنار.

٢- تأويل الكلام أي تفسيره وبيان معناه وهذا ما يعنيه ابن جرير الطبري في تفسيره بقوله القول في تأويل القرآن كذا وكذا وبقوله أيضًا اختلف أهل التأويل في هذه الآية مراده التفسير.

○ **معناه عند المتأخرين:**

هو صرف اللفظ عن المعنىٰ الراجح إلىٰ المعنىٰ المرجوح لدليل يقترن به.

○ **الفرق بين التفسير والتأويل:**

١- إذا أريد بالتأويل تفسير الكلام وبيان معناه فالتفسير والتأويل علىٰ هذا متقاربان ومنه دعوة الرسول ﷺ لابن عباس: «**اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل**» [رواه أحمد ١/ ٢٦٦].

وذكره ابن حجر في الفتح وقال هذه اللفظة مشهورة علىٰ الألسنة حتىٰ نسبها بعضهم إلىٰ «الصحيحين» ولم يصب وأخرجه البخاري بلفظ: «**اللهم فقه في**

**الدين**» [البخاري ١٤٣]، وجاء بلفظ آخر: «**اللهم علمه الكتاب**» [البخاري مع الفتح: ٣٧٥٦].

٢- إذا أريد بالتأويل نفس المراد بالكلام أي العاقبة التي تؤول وتقع في ثاني حال فالفرق كبير بينه وبين التفسير لأن التأويل علىٰ هذا المعنىٰ المراد به وقوع المخبر به ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [الأعراف:٥٣].

٣- وقيل إن التفسير ما وقع مبينًا في كتاب الله أو معينًا في صحيح السنة؛ لأن معناه قد ظهر ووضح أما التأويل فهو ما استنبطه العلماء برأيهم ولذا قال بعضهم التفسير ما يتعلق بالرواية والتأويل ما يتعلق بالدراية.

٤- قيل إن التفسير أكثر ما يستعمل في الألفاظ ومدلولاتها والتأويل أكثر ما يستعمل في المعاني والجمل.

### ❑ شرف التفسير:

التفسير من أجل علوم الشريعة وأرفعها قدرًا وهو أشرف العلوم موضوعًا وغرضًا وحاجة إليه لأن موضوعه كلام الله تعالىٰ الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة ولأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقىٰ والوصول إلىٰ السعادة الحقيقية وإنما اشتدت الحاجة إليه لأن كل كمال ديني أو دنيوي لابد وأن يكون موافقًا للشرع وموافقته تتوقف علىٰ العلم بكتاب الله.

### ❑ عصور التفسير:

#### ١- عصر الرسول ﷺ:

نزل القرآن بلسان عربي مبين ولقد فهمه العرب ودخل كثير منهم الإسلام

بمجرد سماعه وفهمه إلا أن معاني القرآن لا تحد ولا يحاط بها ولما كان الرسول ﷺ أكثر الخلق فهمًا لهذا الكتاب لأنه أنزل عليه وكان من مهماته الأساسية التي اصطفاه الله من أجلها أن يبين للناس ما نزل إليهم قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤]، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يتفاوتون في فهمهم للقرآن لأن هناك بعض المفردات غائبة وكان يغيب عن بعضهم معناها.

أخرج أبو عبيد في الفضائل عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ علىٰ المنبر ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس:٣١]؛ فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟ ثم رجع إلىٰ نفسه فقال: «إِنَّ هَذَا لَهُوَ التَّكَلُّفُ يَا عُمَر» [رواه ابن جرير وإسناده صحيح كما قال ابن كثير].

وقول أبي بكر عندما سأله رجل عن آية فقال: أي أرض تقلّني وأي سماء تظلّني إذا قُلتُ في كتاب الله ما لا أعلم.

وابن عباس يقول: «كنت لا أعلم ما فاطر السموات حتىٰ جاءني أعرابيان يختصمان في بئر يقول أحدهما أنا فطرتها يقول أنا ابتدأتها» [البخاري في الأدب المفرد].

وكان الرسول ﷺ يفسر لهم بعض مفردات الآيات أخرج مسلم عن عقبة ابن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول - وهو علىٰ المنبر ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال:٦٠]: «**ألا إن القوة الرمي**». [رواه مسلم وأبو داود والترمذي].

وأخرج البخاري ومسلم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ عن الكوثر: «**إنه**

**نهر وعدنيه ربي في الجنة»** [مسلم: ٤٠٠، والبخاري مع الفتح: ٤٩٦٤، واللفظ لمسلم].

**○ عصر الصحابة:**

**طريقتهم في التفسير:**

**مادة التفسير عندهم قائمة علىٰ ما يلي:**

١- تفسير القرآن بالقرآن فإنه أشرف أنواع التفسير.

٢- ما كان يحفظه الصحابة من تفسيرات النبي ﷺ.

٣- ما كانوا يستنبطونه من الآيات وكان يعتمد علىٰ قوة فهمهم وسعة إدراكهم وعلىٰ معرفتهم بأوضاع اللغة وأسرارها وأحوال الناس وعاداتهم في الجزيرة العربية.

٤- ما كانوا يسمعونه من أبناء أهل الكتاب الذين دخلوا في الإسلام وحسن إسلامهم.

**❐ أشهر المفسرين من الصحابة:**

١ - الخلفاء الأربعة.
٢ - عبد الله بن عباس.
٣ - عبد الله بن مسعود.
٤- أبي بن كعب.
٥ - زيد بن ثابت.
٦ - عبد الله بن الزبير.
٧ - السيدة عائشة رضي الله عنها.

○ **قيمة تفسير الصحابي:**

١- إن كان مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ فهو حديث له حكم الرفع.

٢- إن لم يكن مرفوعًا ينظر فيه فإن كان متعلقًا بأسباب النزول أو ما لم يكن فيه اجتهاد أعطي حكم المرفوع وكان حجة.

٣- إذا كان من قبيل الاجتهاد والاستنباط وليس متعلقًا بأسباب النزول فهو موقوف علىٰ الصحابي وقد اختلف العلماء بالنسبة إلىٰ الموقوف منهم من يقول إنه رأي يلزم الأخذ به كما شاهدوه من القرائن والأحوال ولما له من الفهم الصحيح ومنهم من قال إنه رأي لا يلزم الأخذ به.

والرأي الصواب أن يؤخذ بما وجد موافقا أو قريبا من الأدلة ويرد ما تبين بُعده عن مقتضىٰ الفهم والدليل.

## ❑ ترجمة أشهر المفسرين:

○ **ابن عباس وتفسيره:**

١- هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي، وُلِدَ قبل الهجرة بالشعب بثلاث سنوات، وغزا في إفريقيا، وتوفي في الطائف، وكان من العلماء.

**منزلته العلمية:**

يعتبر رئيس المفسرين في عصره قال عنه ابن مسعود نعم ترجمان القرآن ابن عباس قال مجاهد كان ابن عباس يسمىٰ البحر لكثرة علمه.

وقد أحرز ابن عباس منزلة بين كبار الصحابة علىٰ صغر سنة بعلمه وفهمه

تحقيقًا لدعوة النبي ﷺ له ففي الصحيح عنه أن النبي ﷺ دعا له وقال: «**اللهم علمه الحكمة**» [البخاري مع الفتح: ٣٧٥٦] وكان عمر يدخله مع أشياخ بدر.

ويمتاز ابن عباس في فهمه للقرآن برجزه إلىٰ الشعر العربي لمعرفته بلغة العرب وإلمامه بديوانه.

○ **تفسير ابن عباس:**

ورد عن ابن عباس في التفسير ما لا يحصىٰ كثرة.

هناك تفسير ينسب إلىٰ ابن عباس جمعه رجل يدعىٰ أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي الشافعي وأحسن الطرق عنه طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وهذه أجود الطرق فقد اعتمدها البخاري ومسلم وأحمد وأصحاب السنن أما باقي التفسير المنسوب إلىٰ ابن عباس فإن أكثر طرقه تدور علىٰ محمد بن مروان السدي الصغير وعن محمد بن السائب الكلبي وهذه أوهي الطرق والكلبي قيل فيه ليس بثقة وهناك طريق ثابتة صحيحة علىٰ شرط الشيخين طريق قيس بن مسلم الكوفي عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وما ينسب إليه من قصة الإسراء والمعراج فهو باطل لا تصح نسبته إليه.

## ❐ التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي والفرق بينهما:

○ **التفسير بالمأثور:**

هو الذي يعتمد علىٰ الصحيح المنقول من تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة أو بقول الصحابة أو كبار التابعين وهذا المسلك يتوخىٰ الآثار الواردة في معنىٰ

الآية فيذكرها ولا يجتهد في بيان معنىٰ من غير أصل ويتوقف علىٰ ما لا طائل منه.

**حكمه:** هو الذي يجب اتباعه والأخذ به لأنه طريق المعرفة الصحيحة وأشهر التفاسير التي ألفت فيه:

١- تفسير ابن جرير الطبري وهو من أجل التفاسير وأثنىٰ عليه جمع من أهل العلم.

٢- تفسير ابن كثير وهو أيضًا من أهم التفاسير وأوسعها انتشارًا.

٣- تفسير البغوي.

٤- الدر المنثور في التفسير بالمأثور.

○ **التفسير بالرأي:**

**وينقسم إلىٰ قسمين:**

**تفسير بالرأي مذموم:**

وهو ما يعتمد فيه المفسر في بيان المعنىٰ علىٰ فهمه الخاص واستنباطه بالرأي المجرد الذي لا يتفق مع روح الشريعة وأكثر الذين تناولوا التفسير بهذه الروح كانوا من أهل البدع الذين اعتقدوا مذاهب باطلة وعمدوا إلىٰ القرآن فتأولوه علىٰ رأيهم وأخذوا يدسون مذهبهم ويروجونه من خلال تأويلهم القرآن كتفسير الجبائي والروماني والقاضي عبد الجبار والزمخشري وعبد الرحمن بن كيسان الأصم.

**تفسير بالرأي ممدوح:**

وهو الذي لا يتعارض مع التفسير بالمأثور ويكون الاجتهاد فيه مُقيَّدًا بقيود وإعمال الفكر في كتاب الله تعالىٰ علىٰ ضوء وهدي وسنة رسوله ﷺ.

واشترط العلماء في التفسير بالرأي أن يكون المفسر مُلِمًّا بعلوم الفقه وعلوم القرآن والعلوم الإسلامية والاجتماعية وأن يكون ورعا يخاف الله وذا مكانة عقلية.

أشهر التفاسير بالرأي المحمود الجائز مفاتيح الغيب للرازي - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي - تفسير الجلالين- تفسير الألوسي- تفسير المنار لمحمد رشيد رضا -تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب.

مع ملاحظة الشطط في بعض الآراء من هذه التفاسير وخاصة في ظلال القرآن.

## ❒ عصر التدوين:

### ○ الخطوة الأولى:

بدأ التدوين في عهد بني أمية وأوائل عهد العباسيين وأول ما دون الحديث وكان التفسير بابا من أبواب الحديث ثم اشتدت عناية العلماء وطاف بعض الناس بالأمصار لجمع الحديث ثم أخذ يجمع بجوار الحديث التفسير المنسوب إلىٰ النبي ﷺ أو إلىٰ الصحابة من هؤلاء يزيد بن هارون السلمي وشعبة بن الحجاج ووكيع بن الجراح.

○ **الخطوة الثانية:**

انفصل التفسير عن الحديث وأصبح قائما بنفسه ووضع التفسير لكل آية في القرآن ورتب علىٰ حسب ترتيب المصحف وتم ذلك علىٰ أيدي طائفة من العلماء منهم ابن ماجة وابن جرير الطبري وأبو بكر النيسابوري وابن أبي حاتم والحاكم والشيخ ابن حبان وغيرهم من الأئمة وكل هذه التفاسير مروية بالإسناد إلىٰ رسول الله ﷺ وإلىٰ الصحابة والتابعين.

○ **الخطوة الثالثة:**

جاء قوم وحاولوا اختصار الأسانيد ونقلوا أقوالا دون أن ينسبوها إلىٰ قائليها فدخل الوضع في التفسير والتبس الصحيح بالعليل وصار بعض المفسرين يجمع شتات الأقوال وكلما خطر بباله شيء اعتمده ثم يأتي من بعده وينقل عنه دون أن يتحرىٰ الصواب وبدون تثبت حتىٰ أنه وصل تفسير قوله تعالىٰ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة:٧] إلىٰ عشرة أقوال والوارد أنها عن اليهود والنصارىٰ لما ورد عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين.

○ **الخطوة الرابعة:**

وهي أوسع الخطىٰ حيث امتدت من العصر العباسي إلىٰ يومنا هذا وهو بعد أن كان التفسير مقصورًا علىٰ الرواية عن السلف تجاوز بهذه الخطوة إلىٰ تدوين تفسير اختلط فيه الفهم العقلي بالتفسير النقلي.

بدأ ذلك أولا علىٰ هيئة محاولات فهم شخصي وترجيح لبعض الأقوال علىٰ بعض ثم ازدادت هذه المحاولات الشخصية وتضخمت متأثرة بالمعارف

المختلفة والعلوم المتنوعة والآراء المتشعبة والعقائد المتباينة حتىٰ وجد من كتب التفسير ما يجمع أشياء كثيرة بعيدة عن التفسير.

وهكذا تدرج التفسير بعد ظهور الفرق الإسلامية بنشر مذاهبها والدعوة إليها وترجمت كتب كثيرة من كتب الفلاسفة فامتزجت كل هذه العلوم وما يتعلق بها من أبحاث بالتفسير حتىٰ طغت عليه وغلب الجانب العقلي علىٰ جانب النقل وحرصت الفرق الإسلامية علىٰ دعم مذهبها فأصاب التفسير من هذا الجو غباره فصاحب العلوم العقلية يعني في تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة؛ كفخر الدين الرازي، وصاحب الفقه يعني بالفروع الفقهية كالجصاص، والقرطبي، وصاحب التاريخ يعني بالقصص والأخبار كالثعلبي، والخازن، وصاحب البدعة يؤول كلام الله تعالىٰ علىٰ مذهبه الفاسد كالروماني، والجبائي، والزمخشري، والقاضي عبد الجبار، وصاحب التصوف يستخرج المعاني الإشارية كابن عربي، والتستري.

○ **الخطوة الخامسة:**

بإزاء التفسير العام في عصور التدوين كان التفسير الموضوعي للقرآن يسير معه جنبا إلىٰ جنب فألف ابن القيم كتابه أقسام القرآن، وألف أبو عبيدة مجاز القرآن وأبو جعفر النحاس الناسخ والمنسوخ والواحدي في أسباب النزول والجصاص في أحكام القرآن.

### ❐ رواية التابعين للتفسير:

**اختلف العلماء فيما أثر عن التابعين هل يؤخذ بتفسيرهم أم لا:**

١ - أكثر المفسرين قالوا يؤخذ بتفسيرهم لأنهم غالبا تلقوه عن الصحابة.

٢- ذهب آخرون أنه لا يؤخذ بتفسيرهم لأنهم لم يشاهدوا القرائن والأحوال التي نزل عليها القرآن ولأن قولهم ليس حجة علىٰ من خالفهم فكيف يكون تفسيرهم حجة علىٰ من خالفهم.

٣- إذا أجمع التابعون علىٰ قول واحد فإن قولهم حجة وإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة علىٰ بعض.

### ❐ عصر التابعين:

اشتهر بعض أعلام التابعين الذين أخذوا تفسيرهم من الصحابة عن رسول الله ﷺ وقد اعتمد هؤلاء المفسرون في فهمهم لكتاب الله تعالىٰ علىٰ ما جاء في الكتاب نفسه وما جاء عن الصحابة في تفسيرهم وأيضا طريق الاجتهاد والنظر للذين دخلوا الإسلام.

### ❐ طبقات المفسرين من التابعين حسب مدارسهم:

**في مكة: نشأت مدرسة ابن عباس: أشهر تلاميذه:**

١ - مجاهد بن جبر .        ٢- سعيد بن جبير.

٣- عكرمة مولىٰ ابن عباس.        ٤ - طاوس اليماني.

٥ - عطاء بن رباح.

**في المدينة: مدرسة أبي بن كعب: أشهر تلاميذه:**

١ - زيد بن أسلم.        ٢- أبو العالية.

٣ - محمد بن كعب القرظي.

**في العراق: مدرسة عبد الله بن مسعود: عرفت بمدرسة أهل الرأي: أشهر تلاميذه:**

١ – علقمة بن قيس.

٢ – مسروق بن الأجدع.

٣ – الأسود بن يزيد.

٤ – مرة الهمذاني.

٥ – عامر الشعبي.

٦ – الحسن البصري.

٧– قتادة بن دعامة السدوسي.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

# فهرس الموضوعات

***